

لوحة يُعَوَّل عليها

الكاتب



يوسف أبو لوز

ربما لا يوجد مصطلح فني مُحدّد بهذا التعريف... «اللوحة الصوفية»، ولكن يستطيع كل امرئ أن يجعل له لوحة صوفية، وأن يقرأ لوحته تلك، حتى وإن كانت خالية من الرموز والإشارات الصوفية مثل لوحات الرقص أو «الدوران الصوفي»، ومثل اللوحات التي تحمل ترجمة تشكيلية للمصطلح الصوفي مثل مصطلح: البرزخ، والبسط، والقبض، والخرقة، والتجلي، وال جذب، وغير ذلك من مفاهيم ومصطلحات يحولها بعض الرسامين إلى فضاء تشكيلي تجريدي. ولكن بعيداً عن هذه الأفكار الجمالية الاجتهادية تماماً، والقابلة للنقض أو للنقد وبخاصة من جانب المتخصصين في الفنون التشكيلية، فإن المرء يجد طمأنينة روحية، ونوعاً من شغف بصري إن جازت العبارة في اللوحات الخطوطية، وفي اللوحات الحروفية اللوحة الخطوطية.

تظهر أقصى درجات جماليات ومرونة الخط العربي، واللوحة الحروفية تحول الخط إلى تعبير لوني مباشر يكشف عن الطاقة التشكيلية التصويرية والتجريدية في الخط العربي.

اللوحة الخطوطية تحمل عادة نصوصاً من القرآن الكريم. مرجع المسلم ودستوره وحافظ روحه، وتحمل اللوحة الخطوطية أيضاً نصوصاً تراثية من النثر ومن الشعر، ويذهب بعض الخطاطين إلى اختيار النص الحكمي «الحكمة»، و«رأس الحكمة معرفة الله»، والبعض يحول المعنى الفلسفي، والروحي، والإنساني في بيت شعر إلى فضاء خطوطي تشكيلي نوراني.

هذا الإشباع الروحي والبصري موجود أيضاً في اللوحة الحروفية العربية الاسلامية، هذه اللوحة المستقلة إن جازت العبارة، لأنها ليست خطوطية، ولا هي رسم أو تصوير، بل، الحروفية، هي الأخرى طاقة جمالية، روحية تحمل طاقة موازية هي طاقة إيقاعية موسيقية. في فضاء تشكيل آخر، ستجد إشباعك البصري والروحي والجمالي في منمنمات يحيى بن محمود الواسطي «القرن الثالث عشر» وأواخر العصر العباسي، عصر الشعب والفنون والموسيقى والغناء، وعصر المكائد والدمويات السياسية أيضاً،

ولكن من قال إن الفن لا يولد حتى من قلب دم الأرض ودم الإنسان معاً.
ربما يكون الواسطي أول فنان جعل القرابة التشكيلية ممكنة تماماً بين النص الأدبي، والنص «التشكيلي»، وذلك عندما
حول مقامات الحريري إلى منمنمات.

مقامات الحريري، بلغتها وسجعها وإيقاعها المتواتر كانت صوتاً ونصاً جديدين تماماً في الثقافة الأدبية العربية، ولكن
هذا الجديد اللغوي والأدبي حين ينتبه إليه فنان «جديد» هو الآخر، فنحن إذاك، أمام إبداع سيعيش في التاريخ والذاكرة
بل، وفي الثقافة والكتابة.

منمنمات أو «شجريات» أو «كائنات» الواسطي من واسط جنوبي العراق قد تكون البذرة الأولى لما يمكن أن نطلق
عليه «اللوحة - النص» أو «النص - اللوحة» بكل مكوناتها الزخرفية النابضة بالحركة والحياة والأناقة أيضاً، فالمقامة
التي قامت عليها منمنمة الواسطي هي أصلاً لغة أنيقة باذخة ببلاغة إيقاعية سجعية.

..إنه أيضاً إلى لوحة العراقي الآخر شاكر حسن آل سعيد 1925 - 2004، فهي فضاء صوفي تجريدي.. يعول عليه

yabolouz@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024